

دلائل الإعجاز

" زيدٌ هو الشجاعُ " تريدُ أن لا تعتدَّ بشجاعة غيره ولا كما ترى في قوله :
(هُوَ الواهبُ المنة المصطفاة ...) .
لكن على وجهٍ ثالثٍ وهو الذي عليه قولُ الخنساء - الوافر - :
(إذا فَبُجَّ البُكاءُ على قَتِيلٍ ... رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلاً) .
لم تُريدْ أنَّ ما عدا البكاءَ عليه فليس بحسنٍ ولا جميل ولم تُقَيِّدِ الحسنَ بشيءٍ
فيتصور أن يُقَصِّرَ على البكاءِ كما قَصَرَ الأعشى هبةَ المنة على الممدوح . ولكنها
أرادتْ أن تُقَرِّره في جنس ما حُسِنَ الحُسْنُ الظاهرُ الذي لا يُنكَرُه أحدٌ ولا
يشكُّ فيه شاكٌّ . ومثله قولُ حسان - الطويل - :
(وإنَّ سَنَامَ المَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... بَدُو بِرَنَتِ مَخْزُومٍ ووالِدُكُ
العَبْدُ) .
أرادَ أن يثبتَ العبوديةَ ثم يجعلَها ظاهرَ الأمرِ فيها ومعروفاً بها . ولو قال :
ووالدُكُ عبدٌ لم يكنْ قد جعلَ حالَه في العبودية حالةً ظاهرةً متعارفةً . وعلى ذلك
قولُ الآخر - الطويل - :
(أُسودُ إذا ما أبْدَتِ الحَرَبُ نابَها ... وفي سَائِرِ الدَّهْرِ الغُيُوثُ
المَواطِرُ) .
واعلمْ أنَّ للخبرَ المعرَّفَ بالألفِ واللام معنًى غيرَ ما ذكرتُ لك وله مسلَكٌ ثمَّ
دقيقٌ ولمحةٌ كالخِلاَسِ يكونُ المتأملُ عنده كما يقالُ يُعرِّفُ وينكِّرُ وذلك قولُك
: هو البطلُ المحامي وهو المتَّقي المُرْتَجَى . وأنتَ لا تقصدُ شيئاً مما تقدِّمُ فليستَ
تشيرُ إلى معنًى قد علِمَ المخاطبُ أنه كان ولم يَعْلَمْ ممَّن كان كما مضى في قولك :
زيدٌ هو المنطلقُ . ولا تريدُ أن تقصرَ معنًى عليه على معنًى أنه لم يحصلْ لغيره على
الكمال كما كان في قولك : ولكنَّكَ تريدُ أن تقولَ لصاحبك : هل سمعتَ بالبطلِ المحامي
وهل حصَّلتَ معنى هذه الصفة وكيف يَنْبَغِي أن يكونَ الرجلُ حتى يستحقَّ أن يقالَ ذلك له
وفيه فإنَّ كنتَ قتلته